في الأدب

منذر بن سعيد

قاضي القضاة بالأندلس

بقلم الدكتور المحقق حسنين محمد مخلوف

المدرس بالمعلمين بطنطا

كان للإسلام في الأندلس جمال وبهاء، ونفحات عطرية تهب على أوربا من حين إلى حين، فتملأ الأرجاء إعجاباً بهذا الدين واستقامة نهجه وصعوده في مدارج الحضارة والرقي، وإشراقه في شبه الجزيرة الأسبانية حتى انتظم أحوال الناس.

فبينما أخذت خلافة بغداد بعد المعتصم في الذبول ثم التفرق، إذ بدولة الأندلس ترتقي صعداً في اتساع السلطان، وجمع الشمل، ودعوى استحقاق الخلافة التي لا عز لها إلا بالقوة، حتى جاء عبد الرحمن الناصر فلقب نفسه خليفة المسلمين، واتسعت مطامعه وخافته دول الأرض من إسلامية ونصرانية، وكانت أحكام القرآن وشريعة محمد بن عبد الله أساس الحكومة وقاعدة إدارة الملك، فلا عجب أن رأيت العلماء ذوي جاه وسلطان ورأي نافذ في الملك والسوقة، فالقول ما قالت حزام، فلا يصدر الخليفة أو الأمير إلا عن رأي العلماء الأعلام حماة الملة الأطهار وحصون الإسلام، وكان سلطان الدين يأخذ بزمام الخليفة فينقاد إليه لا يلوي على شيء. فشجع ذلك الناس على درس الدين والاستقاء من معينه الفياض، أعني بلاد الشرق، فلا يبلغ الرجل عندهم مبلغ الكمال إلا إذا اقتبس من علم الأندلس في قرطبة ثم قطع الرياض والقفار إلى علماء أفريقية ومصر والشام والعراق ومكة والمدينة، وحج بيت الله الحرام، ثم عاد إلى بلاده ظافراً منصوراً، فيعترف له بالسبق وتعلق عليه الآمال في هداية الناس، ويعتمد عليه في الفتاوى والإرشاد.

كان ملوك الأندلس مغرمين باقتفاء آثار المشارقة والتتبع لثقافتهم وعلومهم وفنونهم ليملئوا حياضهم منها، وحسبهم ذلك في بلوغ الرفعة والجلال، إذ كان الشرق مطلع الهداية الإسلامية وأساس الحضارة العربية. وسأتحدث في هذا المقال عن عالم من

علماء الأندلس لأبسط لقراء أسلوباً من أساليب الدرس ، ونموذجاً من العلماء الذين سطعت شمسهم فى الأندلس التى سماها المرحوم زكى باشا مبارك (الفردوس المفقود) ليعلموا البون الشاسع بين علماء الأسلام أمس واليوم ، وليعرفوا أن سلطان القرآن لا يسود ويضرب رواقه على الكبير والصغير ، إلا إذا كان العلماء شجعانا ، وكانت نصرة الدين أحب إليهم من المال والولد والجاه والنسب : فتكون القناعة فى الدنيا سبباً فى إكبار الناس إياهم وخشوعهم أمام سلطان الدين الذى يدعو العلماء إلى بسطه .

منذر بن سعيد البلوطى : نشأ فى رياض الأندلس الزاهرة فى القرن الثالث الهجرى فدرس الدين على علماء قرطبة وحفظ كثيراً من شعر العرب ونثرهم . وكان للأندلس فى دراسة الأدب طريق لا يعرف الآن فى مصر . كان الطالب يبدأ بحفظ كثير من الشعر واللغة ، وطائفة من أحاديث رسول الله ، فيصير أديباً من أول نشأته متدرجاً إلى العلم بأسرار اللغة العربية ، فإذا درس القرآن والدين لم يستعص عليه شىء ، فيكون عالم بالدين عالم دراية ورواية ، فدراسة الأدب سائرة بسبيل فهم أحكام الدين والتفقه فيه ، إذ الدين والأدب العربى صنوان ، فكل علمائنا أدباء وكل أدبائهم علماء

رأى منذر ملوك الأندلس يستقدمون علماء الشرق ويحتفلون بهم ويعدون مجىء أديب أو عالم من الشرق إلى الأندلس فتحاً عظيماً فى الدولة ، ودرة يتيمة يزين بها تاج الملك فتطلع منذر إلى الرحلة إلى الشرق ليلقى علماء مصر وبقية بلاد المشرق ويأخذ عنهم حتى يملأ وطابه من ثقافتهم ، ويعود إلى بلاده فيكون حجة العلماء ولقطة الملوك والأمراء . قطع البحر والبر إلى مصر ولقى علماءها وأدباءها فأفاد منهم ما استطاع أن يفيد ، وكان ذكى الفؤاد حاد الذهن ، ومن عادة العلماء الأملاء على كبار الطلاب ، فحضر مجلس أديب من أدباء مصر هو أبو جعفر بن النحاس ، وكان يملى فى أخبار الشعراء شعر قيس مجنون ليلى حيث يقول :

خليلى هل بالشام عين حزينة تبكى على نجد لعلى أعينها
قد أسلمها الباكون إلا حمامة مطوقة باتت وبات قرينها

فقال له : يا أبا جعفر ماذا أعزك الله باتا يصنعان ؟ فارتبك الشيخ وغم عليه المعنى فقال : وكيف تقول أنت يا أندلسى ؟ فقال له (باتت وبان قرينها) بالنون . أى افترقا . فاستقام المعنى . فسكت

قال منذر : وما زال يستثقلنى بعد ذلك حتى صنفنى كتاب « العين » وكنت ذهبت إلى الاقتساخ من نسخته ، فلما قطع بى قيل لى : أين أنت من العباسى بن ولاد ؟ فقصدته ، فلقيت رجلا كامل العلم حسن المروءة ، فسألته الكتاب فأخرجه إلى ، ثم ندم أبو جعفر لما بلغه إباحة أبى العباس الكتاب إلى ما كنت أعرفه منه . ولقد دلت هذه القصة على حدة ذكاء هذا

الطالب الأندلسي وسرعة خاطره وإن غضب أبو جعفر بن النحاس ؛ وكتاب العين للخليل بن أحمد، قاموس فريد في اللغة حرص منذر على كتابته والانتفاع باتساع مادته اللغوية ؛ إذ كان أول كتاب رتب في اللغة وابتدأ بالعين أول حروف الحلق، ثم بقية الحروف الهجائية . ثم أخذ ما استطاع من علم مصر وغادرها إلى بقية بلاد المشرق وانتهى إلى الحجاز : فأتى علماءها وحدثهم فأعجبوا به وأفادوا واستفاد ؛ وبعد أداء فريضة الحج عاد إلى بلاده كامل العلم راجح الحلم في عهد عبد الرحمن الناصر أمير المؤمنين

ورجع منذر بن سعيد إلى قرطبة فرأى النورات قد سكنت ؛ وأعداء البلاد الأقربين ألقوا السلاح ؛ والمتطلعين إلى بذر بذور الشقاق في الدولة مابين قتيل وسجين . عظمت دولة الخلافة الأندلسية واتسعت أطرافها وأمنت ثغورها وراجت سوق العلم والأدب وعمل الخليفة على نشر لواء الحضارة . وكذلك العواصف على الدول من أبطال العالم يبسطون سلطانهم، ثم إذا أمنوا وعرفوا مصادر الأموال ومواردها أذاقوا الشعب حلاوة انتصارهم وكافئوه على نصرته إياهم بعمل الخير ورفع شأن الأمة أفراداً وجماعات . وكان منذر رجلا عف النفس ؛ شامخ الأنف ؛ جليل المقام ؛ لا يعرفه إلا خاصة الناس ؛ ولم يستفض بعد اسمه ليصل إلى الخليفة وما كان له أن يسعى إلى ذلك والخليفة مشغول بالغرباء من الأدباء والعلماء ؛ كأن الوطن فقر من ذوي العلم والرأي فأذا وفد إلى الأندلس أديب أو عالم من الشام أو العراق، قامت الحكومة وقعدت ؛ وعظم الاحتفال به وشغل به الخليفة والحاشية ؛ ونسوا أن في بلادهم ومن لا يقل شأنا عنه ؛ وكذلك الحال في الدول الناشئة ؛ تكرم الغريب وتفضل أمر القريب ؛ وإن في مصر الحديثة لأمثلة لذلك ؛ ولكن المعدن النفيس مهما يطرح في الأرض يستبين فضله وينتشر ذكره . ساء ذلك منذرا وعجب للقدر وقسمة الحظوظ حتى جاء اليوم الذي عرف فيه قدره ؛ ذلك أنه لما عظم أمر الناصر رغب في محالفته الملوك ؛ وكان من أنهم قسطنطين ملك الروم إذ بعث اليه بهدية وأرسل معها كتابا مسطراً بحروف من ذهب ؛ فأحسن الخليفة لقاء رسله لما وصلوا إلى قصر قرطبة ؛ وبهرهم ماوأوا من بهجة الملك وروعته ؛ وأمر عبد الرحمن الناصر بعض الأدباء والشعراء بالخطابة بما يناسب المقام ؛ فبدأ بالكلام أبو علي القالي وافد العراق فحمد الله وصلى على النبي ثم أرتج عليه لهول الموقف وأبهة الخلافة فالوا «واقطع وبهت فما وصل إلا قطع فوقف ساكتا مفكرا فلما رأى منذر بن سعيد ذلك وكان حاضراً هذا المحفل، أنتدب الموقف ووقف فخطب خطبة ضافية قال منها « وإني أذكركم نعم الله تعالى عليكم وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمت شعثكم وآمنت سربكم . . . أنشدكم الله يامعشر الملأ ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها . . . ألم تكن البلاد خرابا فعمرها وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها . . . » ولما فرغ من خطبته أنشد معرضاً بأبي علي القالي ومذكراً بهضم حقه وإغفال منزلته:

هذا المقال الذي ما عابه أحد . لكن قائله ازرى به البلد

لو كنت فيهم غريباً كنت مطّرفا . لكنني منهم فاغتالني النكد

وكان الناصر أشد الحاضرين تعجبا منه وأقبل على ابنه الحكم ولى عهده فسأله عنه فقال: هذا منذر بن سعيد البلوطي فقال : والله لقد أحسن ماشاء ، ولئن أخرني الله لأرفعن من ذكره فضع يدك يا حكم عليه واستخلصه وذكرني بشأنه فما للصنيعة مذهب عنه ، ثم ولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء. ولما توفي قاضي القضاة ولاه مكانه بقرطبة مع بقائه خطيب الخليفة بالزهراء

صار منذر بن سعيد قاضي الجماعة في عرف الأندلسيين وقاضي القضاة في إصطلاحنا ، فأحس أن الله جعله سراجه في الأرض واتخذه رقيباً على الولاة والحكام، لايخاف في الحق لومة لائم ولايحسب حساب العزل أو الابقاء ، والرضا أو الغضب مادام معتصما بالثقة بالله وسيف الدين القاطع ، وشاع في الناس ذكره ، وعرفوا أن في قرطبة قاضياً يستطيع أن يدين الخليفة فمن دونه ، وبسط القرآن على الخاصة والعامة ، فصار الخليفة يهابه ويخشى زجره ونقده. ومتى كان القاضي لايخشى إلا الله هابه الحكام، لأن روحا من قوة الله ملأت نفسه ، ورهبة، وقوة للدين أخضعت له العروش وأذلت ذوى البأس والسلطان ، وكذلك كان عمر بن الخطاب يقهر الناس بنزاهة نفسه وتجردها من المطامع أكثر مما يقهرهم بسيفه ودرته . وناهيك بعبد الرحمن الناصر أقوى الحكام شكيمة في الأندلس وأوسع الناس نفوذا وقوة . رأى الخلافة العباسية تتمزق وأن ملكه الواسع أحق بها من تلك الدولة المريضة، فكان له ما أراد، ولما أخضع أعداءه وانتظم أمره ، انصرف لعمارة البلاد فبنى القصور الشامخة بقرطبة والزهراء « ضاحية قرطبة التي أنشأها إنشاء » وأجرى الأنهار ونظم الحدائق والبساتين وتغالى في ذلك مغالاة لفتت إليه نظر القاضي منذر بن سعيد، فخطب خطبة الجمعة وكان الخليفة حاضراً ، فاستفتح بقوله تعالى « أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون » فعلم الخليفة أنه المقصود فبكى وندم، إلا أنه وجد على منذر حيث عنفه أمام الجموع الحاشدة ، ولم يراع رتبة الخلافة وأبهة الملك، وقال : لقد تعمدني منذر بخطبته ، وما عنى بها غيرى ، ولم يحسن السياسة في وعظي ، فزعزع قلبي وكاد بعصاه يقرعني . ثم أقسم ألا يصلي خلفه صلاة الجمعة . قال الحكم ولي عهده : فما الذي يمنعك من عزله عن الصلاة بك والاستبدال به ؟ فزجره وانتهره وقال : أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه لا أم لك ! يعزل لارضاء نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد ؟ هذا مالا يكون ، وإني لأستحيي من الله ألا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعاً مثل منذر في ورعه وصدقه ، ولكنه أحرجني، فأقسمت ولوددت أني أجد سبيلا إلى كفارة يمين بملكي ، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى فما أظننا نعتاض منه أبدا

وهكذا أثر منذر بخطبته البليغة وهز مشاعر الخليفة ؛ ومع أن عزة الملك غلت فى رأسه، لم يسعه إلا أن يضبط عواطفه لأن سلطان الدين كان أقوى من نزعة نفسه .

وإن ابتداء المشادة بين الخليفة والقاضى فى أمر الزهراء ، كان منذ شرع البناءون فى بنائها ؛ فالقاضى كان يأسف على مايذهب من أوقات الخليفة فى التردد على أمكنة البناء ، وعلى ذهاب الأموال فى العز والجاه والقصور التى يذهب بها الدهر بعد ذلك ؛ فلما انتهى البناءون من من كثيرها حضر القاضى منذر مع الخليفة يوما لمشاهدتها فقام الرئيس أبو عثمان بن إدريس فأنشد الناصر قصيدة منها :

سيشهد ما أبقيت أنك لم تكن ... مضيعا وقد مكنت للدين والدنيا
فبالجامع المعمور للعلم والتقى ... وبالزهرة الزهراء للملك والعليا

فاهتز الناصر وابتهج ؛ وأطرق منذر ساعة ثم قال منشدا :

يا بانى الزهراء مستغرقا ... أوقاته فيها أما تسهل
لله ما أحسنها روضا ... لو لم تكن زهرتها تذبل

فقال الناصر : (إذا هب عليها نسيم التذكار والحنين ، ماوسعتها مدامع الخشوع، يا أبا الحكم لاتذبل إن شاء الله تعالى)

فأجابه منذر « اللهم اشهد أنى قد بثثت ماعندى ، ولم آل نصحا » واستمرت المشادة بينهما حتى نهاد عن البناء بقراميد الذهب والفضة التى سقف بها قبة الصرح الممرد ، وكان مما قاله القاضى للخليفة « مافاتنت أن الشيطان أخزاه الله يبلغ مثل هذا المبلغ ، ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله وفضلك به على العالمين ، حتى أنزلك منازل الكافرين » فشعر عبد الرحمن من قوله فقال له : نعم . أليس الله تبارك وتعالى يقول « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون » فرجم الخليفة ونكس رأسه مليا ودموعه تجرى على لحيته خشوعا لله تبارك وتعالى ثم أقبل على منذر وقال له : جزاك الله تعالى ياقاضى خيرا عنا وعن المسلمين والدين ، وكثر فى الناس أمثالك الذى قال هو والله الحق »

وقام وهو يستغفر الله تعالى ، وأمر بنقض سقف القبة ، وأعاد قراميدها ترابا ؛ وكذلك كان فى أحكامه الشرعية . حدث أن رغب الخليفة فى شراء دار وقومها ، وكانت لأيتام لاتباع إلا بأذن القاضى ، فاستقل منذر الثمن ، وخاف أن يحتال الخليفة لشرائها بعد ذلك ، فأمر بهدمها وبيع أنقاضها ؛ فكان ثمن الأنقاض أقل من تقويم الخليفة ، فسأل القاضى لم فعل ذلك وقد كان عازما على شرائها بثمن مناسب ؟ أجاب منذر : أخذت فيها بقوله تعالى « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر ، فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » فسكت الخليفة وأذعن لأمر القاضى .

فأى نفس هذه النفس التى تأخذ بزمام الخليفة وتكفكف من غرب إعجابه وسطوته حتى يتعظ وينقض ما أبرم . لاشك أنه الأخلاص لله والشجاعة النفسية . رأينا القاضى منذرا شديد الصلابة فى أحكامه لايهاب أحدا يهابها يعلى شأنه . كان بليغا فصيحا عالما بالجدل حاضر الجواب قوى الحجة ، ذا شارة عجيبة ومنظر جميل وتواضع خلق ، لم تحفظ عليه قضية فيها جور قط ولا ميل إلى هوى أو إصغاء لرجاء كبير ، وكانت ولايته القضاء بقرطبة سنة ٣٣٩ م واستمر بقية عهد الناصر ، فلما ولى ابنه الحكم المستنصر ، أقره على القضاء وظل فيه إلى أن مات سنة ٣٥٥ هجرية وكان متفننا فى ضروب العلم ، غلب عليه التفقه بمذهب داود الظاهرى فإذا جلس للقضاء ، قضى بمذهب مالك الذى كان عليه العمل فى الأندلس ، وكان مع هذه الشدة كثير الدعابة والمزاح الذى لا يمس الكرامة ؛ وله فى ذلك أحاديث منها ما تحدث به سعيد ابنه قال : قعدنا ليلة من ليالى شهر رمضان مع أبينا للافطار بداره البرانية فإذا سائل يقول : أطعمونى من عشائكم أطعمكم الله من ثمار الجنة هذه الليلة فقال القاضى : إن استجيب لهذا السائل فليس يبقى منا أحد إلى الصباح ، فضحك الحاضرون .

كذا فى علماء الأندلس وقار العلماء وظرف الأدباء

(طنطا)

حسنين حسن مخلوف

العـــــــدد الممتاز

يصدر فى ١٥ يونيه القادم

احرصوا على اقتنـــائه

فهو لا يرسل إلا لمن سدد الاشتراك

عمرو بن معديكرب الزبيدى – ٢

صادفت حياة شاعرنا الدولة الفارسية فى أوج عظمتها ، يدير دفة الملك فيها كسرى الذى كانت تفد عليه الوفود من أصقاع المعمورة ليكسبوا رضاه وينالوا عطفه ، ثم ليأخذوا من الحضارة الفارسية قسطا يقيمون به أودهم ويصلحون به من شأنهم .

وكان لابد أن يقدم وفد من العرب وعلى رأسهم النعمان بن المنذر الذى كان ملكا على الحيرة حينذاك ، وصادف قدوم النعمان على كسرى وجود وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم وحياتهم ماسر كسرى ، فأعطاهم أذنا واعية لكل مايقال .

وافتخر النعمان بالعرب وأخذته حمية الجاهلية ؛ ففضلهم على جميع الأمم ، ولم يستثن فارس ، ومما لا شك فيه أن هذا يوغر صدر كسرى فيجعله يحقد على النعمان ويقابله بصدمة تجعله يعترف للفرس بالسيادة على الأقل . . . . وما كان منه إلا اعتدال ثم رد بصدمات ؛ فقال وقد أخذته عزة الملك وقوة الجاه :

يانعمان ! لقد فكرت فى أمر العرب وغيرهم من الأمم ونظرت فى حال من يقدم علىّ من وفودها ، فوجدت الروم لها حظ فى اجتماع ألفتها وعظم سلطانها ، وكذلك الصين فى اجتماعها وكثرة صناعات أيديها وفروسيتها . ثم ذكر الترك والخزر وما بهم من سوء حال المعاش وقلة الريف والثمار ؛ وما هو عمارة رأس الدنيا من المساكن والملابس ؛ ولكن مع هذا لهم ملوك تضم قواصيهم وتدبر أمرهم . ولم أر للعرب شيئا من خصال الخير فى أمر دين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة ، يعيشون مع الوحوش النافرة والطير الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة وأفضل طعام ظفر به ناعمهم هو لحم الإبل – ثم عدد من أمثال تلك المساوئ ما حفز النعمان للقيام بنقض تلك الادعاءات وأجاد كل الاجادة حتى أن كسرى أعجب بكلامه فقال : إنك لأهل لموضعك من الرياسة فى أهل إقليمك ؛ ثم كساه من كسوته وسرحه إلى الحيرة .

وإذا تخيلنا موقف النعمان وما ينطوى بين جوانحه . ظهر لنا أنه يأتى شيئا فى نفسه سيظهر أثره بعد ذلك وإن كان كسرى قد أنعم عليه وشكره ومتعه فى حله وترحاله .

ولما قدم الحيرة بعث إلى عشرة خطباء من أفذاذ العرب ، وكان صاحبنا تاسعهم ، وجمعهم النعمان بين يديه وقال لهم – وكان معتليا كرسى الملك بالخورنق – :

قد سمعت من كسرى ما آلمنى وربما كان له مأرب من ذلك : فاتذهبوا إليه ولا تتخاذلوا ولترفعوا عن العرب كل وصمة يلحقها بهم أولئك الأعجام الذين طغوا فملكوا وغووا فملكوا . ثم جهزهم بجهازهم وكتب إلى كسرى يقول :

أما بعد ، فأن الملك ألقى إلىّ من أمر العرب ما قد علم وأجبته بما قد فهم ، وبما أحببت

أن يكون منه على علم . إن أمة من الأمم التي احتجزت دونه بمملكتها وحمت ما يليها بفضل قوتها تبلغها في شيء من الأمور التي يتعزز بها ذو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة . وقد أوفدت أيها الملك رهطا من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم ، فليسمع الملك وليغامض عن جفاء إن ظهر من منطقهم ، وليكرمني بإكرامهم وتعجيل سراحهم.

ثم خرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن فدفعوا إليه الكتاب ، وفي شيء من الرسميات الفارسية قابلهم كسرى وأقام ترجمانا ليؤدي إليه كلامهم ، ثم أذن لهم بخطاب الثانية وأجادوا ، فبهر عقل كسرى ، وجاء صاحبنا فغطى على السابقين ، وأنه ليعجبني ويقع في نظري أفضل الخطباء ، في إيجاز في غير إخلال ، إلى دقة في المعاني في غير تكلف ، إلى فلسفة تحار عندها القلوب ومنطق يذهل العقل أمامه ، فهو لايخشى كسرى وبأسه ، ولا يتملق إليه ، فيترك الرسميات ويتكلم فيما أراد غير هياب ، ولنسمعه إذ يقول وكأنه رأى استخفافا من كسرى لهم أو استكبارا عليهم .

« إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق السداد ، وملاك النجعة الارتياد ، وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخيرة من اعتساف الحيرة فاجتذب طاعتنا بلفظك واكتظم بادرتنا بحلمك ، وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا ، فأنا أناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضما ، ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضما » .

من ذلك نستخلص أنه كان ذا مكانة رفيعة بين ملكه وأخصائه ، يشهد له مليكه أنه ذو نسب وحسب وأدب وعقل ، أما النسب والحسب فيما لا شك فيهما ، وأما الأدب والعقل وكلاما وقوة الأسلوب وصدق الرواية فنحن نلمسه بين أيدينا ونقرؤه كل وقت وحين .

كان يقول الحق لا شيء غير الحق ، فقد كان يصدق عن نفسه بأنها ربما حدثته بالخوف والهرب فيأخذها بصلابة الرأي وصدق العزيمة والخوف من العار فيثبت فيفوز ويغلب ، وفي ذلك يقول عن نفسه :

« لو مررت بظعينة وحدي على مياه معد كلها ماخفت أن أغلب عليها مالم يلقني حراها أو عبداها ، فأما الحران فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان فأسود بني عبس — يريد به عنترة — والسليك بن السلكة.

وهو يصرح أنه لايطيق بأس هؤلاء الأربعة الفوارس ، ويذكر ذلك على الملأ العربي وإنها لخلة حسنة وصدق جميل .

ثم هو يصدق عن نفسه في الحرب أيضا بأبيات شعر غاية في المتانة والقوة والجزالة والسهولة فيقول :

ولما رأيت الخيل زوراً كأنها … جداول زرع أرسلت فاسبطرت

فجاشت إلى النفس أول مرة … فردت على مكروهها فاستقرت

علامَ تقول الرمح يثقل عاتقي … إذا أنا لم أطعن ، إذا الخيل كرت

ثم يقول فى أبيات أخر :

أشاب الرأس أيام طوال ... وهمّ ماتضمنه الضلوع
إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ماتستطيع
وصله بالزماع فكل أمر ... سما لك أو سموت له ولوع

ولقد انتهت جاهليته وعلينا أن نذكر إسلامه وارتداده ثم إسلامه ثانياً وبقاءه على إسلامه وبلاءه الحسن فى اليرموك والقادسية حيث كان أداة النصر وشعاره فى ذلك يقول أصدق القائلين : « يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

عرض الله الإمام قنديل
مدرسة عابدين الصناعية

معترك الحياة

لابد للنازل فى معترك الحياة من سلاح قوى ليكافح به مايعترضه من صعاب ، ويذلل مايقوم فى طريقه من عقبات . موت من نحب ، ومفارقة الأصدقاء ، وأمراض الجسم ، ومصائب أخرى . كل ذلك معد للإنسان فى طريق حياته . ولكن الصبر على الخطوب ، والتغلب على المتاعب ، والإقدام على المخاطر والثبات فى الأعمال ، ومواجهة الظالم المستبد ، وقول الحق بجراءة ، كل هذه الصفات من معانى الشجاعة الأدبية وهى السلاح الوحيد لذلك النازل فى المعترك ، وإلا كان أعزلا فى الميدان ، وإلا كان هازلا ، وإلا داهمه اليأس فمات .

والجبن ضد الشجاعة ، هى داؤنا العضال ، هى التى أفقدتنا قوة الإقدام على المشاريع العظيمة النافعة ، والأعمال الحرة المستقلة فاستغلها غيرنا فتقدم وتأخرنا ، وهكذا فى كل مايدعو إلى التقدم . ولقد صدق القائل : (الناس من خوف الفقر فى فقر ، ومن خوف الذل فى ذل) نعم يدعو حب الحياة وخوف الفقر أو التعب الجبناء إلى الإحجام فيموتون ويفتقرون ويتعبون . ويدعو حب الحياة وخوف الفقر أو التعب الشجعان إلى الإقدام فيحيون ويثرون ويستريحون .

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد ... لنفسى حياة مثل أن أتقدما

قالت السيدة عائشة : (إن لله خلقاً قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت معها فأف للجبناء فأف للجبناء !) وقال جون استيوارت مل : (ويل للزمن الذى لايجرؤ على الشذوذ فيه إلا الأقلون) ؟

محمد محمد حسين عماد
بمدرسة فيشا الصغرى
(منوفية)